﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾

[القصص: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التفصيل بعد التشويق يساعد في ترسيخ العبرة والتقاط الدرس

بعد أن وضَّحت الآيات السابقة أن الله تعالى أراد أن يمنَّ على بني إسرائيل بأن يجعلهم أئمّةً، ويجعلهم الوارثين، ويمكِّن لهم في الأرض، ويكون هلاك فرعون وقومه على أيديهم، جاءت هذه الآية لتَشْرَع في بيان كيفية حصول ذلك الإنعام، فوضَّحت أنَّ بدايته كانت بميلاد موسى، وفصّلت كيف أنجاه الله من الظالمين، "فإنَّ الإرادة لما تعلَّقتْ بإنقاذ بني إسرائيل من الذُّلِّ خلق الله لهم المُنقِذَ، وهو الذي كان يحذره فرعونُ على مُلكه، وكان يذبّح أبناء بني إسرائيل لأجله"[1]، ليساعد التفصيل بعد التشويق في ترسيخ العبرة والتقاط الدرس.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَآدُّوهُ﴾: (ردّ) "أَصْلٌ واحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ، وهوَ رَجْعُ الشَّيْءِ. تَقولُ: رَدَدْتُ الشَّيْءَ أَرُدُّهُ رَدًّا. وسُمّيَ المُرْتَدُّ لِأَنَّهُ رَدَّ نَفْسَهُ إِلَى كُفْرِهِ"[2]، "الرَّدُّ: صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رَدَدْتُهُ فارْتَدَّ... فمن الرّدّ بالذّات قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]، وقوله: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾، ومن الرّدّ إلى حالة كان عليها قوله: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 149]"[3]، "وكل ما في القرآن من التركيب فهو بمعنى: الرجوع والإرجاع"[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 465.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رد).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (رد).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ردد).

2) ﴿وَجَاعِلُوهُ﴾: (جعل) "كَلِماتٌ غَيْرُ مُنْقاسَة، لا يُشْبِهُ بَعْضُها بَعْضًا.. وجَعَلْتُ الشَّيْءَ: صَنَعْتُهُ، قالَ الخَليلُ: إلّا أَنَّ جَعَلَ أَعَمُّ"[1]، و"المعنى المحوريُّ: تحويل الشيء إلى وضع أو هيئة معينة"[2]، وقيل: "الحكم بالشيء على الشيء، حقًّا كان أو باطلًا، فالحقّ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وأمّا الباطل فنحو قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: 136]"[3]، والمراد به في الآية: مصيِّروه رسولًا إلى فرعون وقومه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يد الله تعالى تتولّى تحقيقَ مراده

أراد الله تعالى أنْ يمنّ على بني إسرائيل، فبعث إليهم موسى ﷺ لينقذهم مما هم فيه، ويُذيق فرعونَ وقومَه ما أذاقوه لأهله وعشيرته، وقد أحاط به عند الحمل والولادة خطر القتل الذي كان يحصل لغلمانهم، لكنّ الله تعالى تولّى هذا الأمر بنفسه، فبعد أن حملت أمُّه فيه وكتمت عن الناس حملها حتَّى وضَعَتْه، انتابتها الحيرة، ولم تَدْرِ ماذا تفعل حتى لا يقتله جنود فرعون كما قتلوا تسعين ألفًا من ذكور بني إسرائيل. حينئذ أوحى الله تعالى إليها أن تقوم بإرضاعه في خفية، وأن تضعه في تابوت وتلقيه في النيل، إذا تيقَّنت من انكشاف أمرها ومجيء الجنود لقتله، مع وعدها بحفظه، وتبشيرها بِرَدِّهِ إليها، وجعله من المرسلين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في جملة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾:

بيان تفاصيل الإرادة بعد ذكر فعل الإرادة

الواو عاطفة، والعطف من عطف القصّة على القصّة، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ شروعٌ في تفصيل ما أنعم الله به على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جعل).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جعل).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (جعل).

بني إسرائيل، وبدايةُ سردٍ لكيفيَّة جعلهم أئمَّةً وارثين، فالواو لعطف ما بعدها على قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ [القصص: 5]، إذ الكلُّ من أجزاء نبأ موسى وفرعون، الذي تحكي تفاصيلَه السورةُ الكريمةُ.

معنى الإيحاء في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾:

الفعل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ معناه: أبلغناها عن طريق الإلهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: 68]، أو في رؤية منامِيَّة، أو عن طريق إرسال ملك أخبرها بذلك، وعلى كلِّ الاحتمالات فإنَّ ذلك من فضل الله تعالى ولُطْفِه بموسى عليه السلام وبأمِّه.

نكتة إسناد فعل الإيحاء إلى ضمير العظمة:

كل شيء يتم بإرادة الله وتدبيره

في إسناد فعل الإيحاء إلى ضمير الحق سبحانه بصيغة التعظيم في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ تفخيم للموحى به، وتعظيم لشأنه، وإعلام بأن الله تعالى بما له من الكمال والجلال والاقتدار - هو الذي تولَّى أحداث قصة موسى كلِّها بنفسه، ورتّبها بحكمته؛ بدايةً من ولادة موسى عليه السلام، ومرورًا بإرضاعه وإلقائه في اليمِّ، ثم وصوله إلى قصر فرعون والتقاطه من قبل آله، وغير ذلك من الأحداث، إلى أن تمّ مراده سبحانه بهلاك فرعون وجنده على يديه.

دلالة تعدية فعل الإيحاء بـ: ﴿إِلَىٰٓ﴾:

وسائل رعاية الله لخلقه مختلفة متنوعة

في تعدية فعل الإيحاء إلى ﴿أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ بالحرف المفيد لانتهاء الغاية: ﴿إِلَىٰٓ﴾ دلالةٌ على رعاية الله تعالى وتشريفه لهذه الأمِّ، التي تتملَّكها الحيرة والقلق، إذ أرسل الله إليها على وجه الخصوص مَلَكًا - على أحد الأقوال - يحمل رسالةً، فيها وعدٌ منه بما "يُسلّيها ويُطامِنُ قلبَها ويملؤُها غِبطةً وسُرورًا"[1]، وهو ما يفعله الله تعالى مع جميع خلقه، ولكن بوسائل مختلفة وأساليب متنوعة.

(1) الطيبي، حاشية الطيبي على الكشاف: 12/ 11.

نكتة التعبير بـ: ﴿أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾:

سـعـادة المـرأة وشـرفـهـا في كنيتها بأسماء أبنائها

عبَّر النظم الكريم عنها بـ: ﴿أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ دون الاسم الصريح؛ لأسرار ودلالات، **منها** أنَّ موسى هو الرضيع الذي سيكون هلاك فرعون وهامان وجنودهما على يديه، ففي إضافتها إليه تشريف لها إذ هي أمُّ نبيِّ الله تعالى وكليمه ﷺ. **ومنها** أنَّ الوحي إليها، والاهتمام بأمرها، والحرص على تطمينها؛ كان باعتبارها أُمًّا خائفةً على رضيعها، وليس باعتبارها فلانة بنت فلان. **ومنها** أنَّ ذِكْرَها بالاسم الصريح ممّا لا يتعلَّق به كبير فائدة. **ومنها** أنَّ ذلك يتماشى مع هدي القرآن في الحرص على ترسيخ المعاني والمفاهيم، دون ربطها بأشخاص أو شخصيات، ليكون الخطابُ بها عامًّا، والمعنى المقصودُ منها شاملًا الخلائق أجمعين. وأخيرًا: لأن مما يسعد المرأة ويشرفها أن يكنى عنها بأسماء بنيها.

معنى ﴿أَنْ﴾ في جملة: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾:

قوله: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ تفسير لما أوحى الله به إلى أمِّ موسى، فـ ﴿أَنْ﴾ فيه تفسيريَّة، لأنّ في الوحي معنى القول. ويجوز أن تكون مصدرية، والمعنى: أوحينا إلى أمِّ موسى إرضاعه.

الغرض من الأمر في ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾:

مـن المنطقي أن يـداوم الإنسان على العمل إلى أن يتحقَّق من الخطر

الغرض من التعبير بفعل الأمر: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ نصحُها بالمداومة على إرضاع صغيرها في خفية، إلى أن يتحقَّق لديها تعرُّضه لخطر القتل، إذْ إنّ دلالة الوجوب للأمر مستبعدة في حقّها هنا، لأنّ الأمّ من شأنها أن ترضع وليدها دون الحاجة للأمر بذلك، وقد استجابت لذلك، إذ "روي أنَّها أرضعتْهُ ثلاثةَ أشهرٍ في تابوتٍ من بَرْديٍّ مطليٍّ بالقارِ من داخلِه"[1].

سبب الأمر بالمداومة على إرضاعه:

أن "تَقْوى بنيتُه بلبان أمِّه، فإنه أسعدُ للطفل في أوَّل عمره من

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 393.

لبان غيرها"[1]، وليَتقوّى برضاعه منها على مواجهة الأحداث التي سيمرُّ بها، ابتداءً من إلقائه في اليمِّ، ثمَّ وصوله إلى القصر، ثمَّ التقاط آل فرعون له، وعرضهم المراضع عليه، ثمَّ إرشاد أخته إلى أمِّه لترضعه، ثم ذهابها إليه وإرضاعها له بعد أن فارقها بعض يوم.

رضاع الأمهات يقوّي الأبناء بدنيًّا ونفسيًّا

معنى الفاء في جملة: ﴿فَإِذَا خِفْتِ﴾:

والفاء في جملة: ﴿فَإِذَا خِفْتِ﴾ للتفريع، والغرض منها تنبيه أمِّ موسى إلى ما تفعله عندما تدرك أنَّ أمرها قد سينكشف، وأنَّ قتل رضيعها حاصل إذا علموا بأمره.

دلالة التعبير بـ: (إذا):

عبَّر النظم الكريم في جملة الشرط بـ: (إذا) التي تفيد التحقُّق أداةً للشرط، وبفعل الشرط: ﴿خِفْتِ﴾ ماضيًا، في قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ﴾ لتوجيه أمِّ موسى إلى ضرورة إلقاء الرضيع في اليمِّ عند التأكد من وجود خطر داهم، وعندما يصير قتله في حكم الأمر المحقَّق؛ "دفعًا للضّرِّ المحقّق بالضّرِّ المشكوك فيه"[2].

على المرء أن يدفع الضرر المحقَّق بغير المحقَّق

دلالة التعبير بفعل الخوف:

الخوف: حالة نفسيَّة تعتري الإنسان بسبب شيء مكروه يتوقَّع حصوله، والتعبير به في جملة: ﴿فَإِذَا خِفْتِ﴾ يدلُّ على إحاطة المولى سبحانه بما يمكن حصوله للرضيع، وما يمكن أن ينتاب أمَّه في ذلك الحين، ومن ثَمَّ كان إرشادها إلى ما يجب أن تفعله في هذه الحالة، رعايةً لها وتقديرًا لشعورها الفطريِّ المبرَّر.

الخوف المُبَرَّر شعور فطري يقدره الله

نكتة تعدية فعل الخوف بحرف الاستعلاء:

في تعدية فعل الخوف المسند إلى ضمير أمِّ موسى بصيغة الخطاب ﴿خِفْتِ﴾ إلى ضمير موسى ﷺ بحرف الجرِّ المفيد

خوفُ الأمّهات يُحيط بالأبناء ويحوطهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 16.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 16.

للاستعلاء أو الظرفيَّة في: ﴿عَلَيۡهِ﴾ إبرازٌ للخوف الذي هو أمر معنويّ، وحالة نفسيّة في صورة أمر حسّيٍّ يحيط بموسى من أعلاه وأسفله، وعن يمينه وعن شماله، ليمنعَه من أي شيء يؤذيه، أو يكون خطرًا على حياته. وفيه تصوير للحالة التي كانت عليها أمُّ موسى، وبيانٌ للمشاعر التي كانت تتملَّكُها تجاه صغيرها بعد أن وضعته في عام يقتل فيه الصغار.

معنى الفاء في جملة: ﴿فَأَلۡقِيهِ﴾:

المُسلم يتقيد عند الخوف بما يأمر به الشارع الحكيم

الفاء في جملة: ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ رابطة لجواب الشّرط، وهي مفيدة أيضًا للتعقيب والتفريع، وهي تدلُّ على أنّ تحقق أمِّ موسى من وجود خطر مُحْدِق على حياة الرضيع سببٌ كافٍ لإسراعها بإلقائه في اليمّ دون تردُّد أو تباطؤ، أو ظنٍّ أنَّ في ذلك هلاكه وموته، فالذي أمر قادر على أن يحفظ وينجي.

دلالة تعدية فعل الإلقاء بالحرف: ﴿فِي﴾:

إبراز قدرة الله على تسخير الأشياء لتحقيق مراده

عُدّيَ فعلُ الإلقاء إلى ﴿ٱلۡيَمِّ﴾ بحرف الظرفية: ﴿فِي﴾، للدلالة على أنَّها أُمِرَت بإلقاء الرضيع في الماء، ومتابعته حتى يصل إلى وسط النهر، ولم تؤمر بإلقائه على جانب اليَمّ، أو في أطرافه. وثَمَّ دلالة أخرى على أنَّ اليمَّ سيكون له كالحاضنة الحافظة من كل مكروه وسوء بأمر الله ﷻ، إبرازًا لقدرته سبحانه على تسخير كُلِّ شيء لتحقيق مراده في الإنعام على بني إسرائيل وتمكينهم في الأرض، وعلى غير ذلك.

لطيفة التعبير بـ ﴿ٱلۡيَمِّ﴾:

لا فرق بين الأمواه في المخاطر والفوائد

عبَّر النظم الكريم عن نهر النيل بـ: ﴿ٱلۡيَمِّ﴾ الذي يعني: البحر؛ لاتساعه وكثرة مائه، "وعظمته على غيره من الأنهار، بِكِبَرِه وكونه من الجنَّة، وما يحصل به من المنافع"[1]، ولبيان قدرة الله تعالى، ورعايته

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 465.

لموسى ﷺ؛ لدلالة التعبير على أنَّه كان معرَّضًا في النّيل لما يتعرَّض له من يُلقى في البحر، الهادرِ ماؤُه، المتلاحقة أمواجه، من أخطار عظيمة، ومخاوف مهلكة، كالغرق بالماء، والأكل من الحيتان، والانزلاق في الأودية والتفريعات وغير ذلك من مخاطر الأمواه أيًّا كان حجمها، وهو ما يفوت لو تم التعبير عن النيل بلفظ آخر غير ﴿ٱلْيَمِّ﴾[1].

معنى الواو في جملتي: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾:

تنفيذ أمر الله يجب أن يكون مصحوبًا بعدم الخوف أو الحزن

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ حرف عطف يفيد المصاحبة، وفيه دلالة على أن تنفيذ أمر الله تعالى بإلقاء الرضيع في اليمِّ يجب أن يكون مصحوبًا بعدم الخوف، وعدم الحزن، لأنَّ الذي أمر بذلك هو الكريم سبحانه الذي يحفظ أولياءه، ويكرم أصفياءه.

الغرض من النهي في ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾:

من معالم وحي الله إلى خلقه الجمع بين التكليف وما يساعد على امتثاله

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ نهي عن الخوف على حياة الرَّضيع، ونهي عن الحزن لفراقه، عبَّر بهما النَّظم الكريم لتطمين أمِّ موسى ونصحها بأن يكون تنفيذها أمر الله تعالى بإلقاء الرَّضيع في اليمّ مصحوبًا بالثِّقة في تدبير الله، وقدرته على تنفيذ ما وعد به، من غير شكٍّ أو تردُّد، مع خلوِّه من الخوف والحزن بأيِّ شكل وبأيَّة صورة، تيسيرًا عليها وحثًّا لها على الامتثال بثقة واطمئنان.

دلالة التعبير بالمضارع المنفيّ:

مَنْ يُنَفِّذُ أوامرَ الله لا يتجدد خوفه ولا حزنه أبدًا

عُبِّرَ بالمضارع في جملتي: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾؛ لما يمتاز به المضارع من إفادة التَّجدد، والمعنى: لا يتجدَّدُ خوفُك عليه من أيِّ شيء، ولا يتجدَّدُ حزنُك لبُعده عنك، وكوني مطمئنَّةً إلى أنّ ما نأمرُ به فيه مصلحةٌ لك ولولدك. وأوثر النَّهي عنهما بالحرف المختوم بألف المد: (لا)؛ للإشارة إلى أنَّ الخوف عليه والحزن لفراقه يجب

(1) المليجي، صبحي إبراهيم، مصر في القرآن الكريم، ص: 44.

أن ينعدما بشكل أبديّ، وبصورة نهائية، والمعنى: لا تخافي عليه أبدًا، ولا تحزني لفراقه كذلك أبدًا.

دلالة تكرار حرف النهي:

جيء بجملة: ﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓ﴾ مُعَبَّرًا فيها بالمضارع المنفي بالحرف: (لا) مع قُرب العهد به، وإمكان الاكتفاء بالحرف الأول؛ لبيان أنّ قوّة النّهي عن الحزن هي في قوّة النّهي عن الخوف، ولتأكيد النَّهي عن جميع أشكاله بسبب فراق الرَّضيع؛ لأنَّ فراقه لن يطول كما يلوح من السّياق، وكما يفهم من النَّهي.

المـمـتـثـل لأمـر الـلـه في أمـن وطمأنينة

لطيفة تقديم النهي عن الخوف:

قُدِّم النهي عن الخوف على النهي عن الحزن في قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓ﴾؛ لأنَّه أسبق حدوثًا، وأكثر أسبابًا، كما أنَّه يمكن أن يتسبب في الحزن ويساعدَ عليه.

دلالة التعبير بالفعلين غير معدَّيين:

جاء البيان الكريم بفعل الخوف لازمًا غير متعدٍّ؛ ليعمَّ النَّهيُ جميعَ أنواع الخوف، وكلَّ أسبابه، والمعنى: لا تخافي غرقَه، ولا تخافي ضياعَه، ولا تخافي تقلُّباتِ البحر، ولا تخافي أذى الحيتان، ولا تخافي جوعه، ولا تخافي غير ذلك ممّا يمكن أن تذهب نفسُك فيه كلّ مذهب. وكذلك السر في التعبير بفعل الحزن دون تعدية، وهو: أن يكون النَّهي شاملًا كل أشكال الحزن وأنواعه، إذ من الممكن أن يكون الحزن في شكل بكاء، أو امتناع عن الطعام، أو في شكل تفكير وانشغال، فجاء فعل الحزن مطلقًا ليشمل ذلك وغيره.

مَـنْ يُـنَـفِّـذُ أوامـرَ الـلـه لا يـخـاف من أي شيء ولا يحزن بأي شكل

علّة فصل جملة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾:

جاءت جملة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ مفصولةً غير معطوفة، لأنّها بمثابة التَّعليل لما قبلها، فيما يعرف بشبه كمال الاتّصال الذي تُجيب فيه الجملة الثّانية عن سؤال أثارته سابقتُها في نفس الأمّ

المفزوعة، عن سبب نهيها عن الخوف والحزن، وهما أمران بدهيان في مثل هذا الموقف، فتأتي الجملة الثّانية لتطمئنها بأن اللّه تعالى سيردُّه إليها، وتبشِّرها - في الوقت ذاته - بأنه سيكون واحدًا ممّن اصطفاهم اللّه تعالى لحمل رسالته إلى الناس.

وحي الله تعالى يجيب عما يدور في أذهان المتلقّين ويشغل تفكيرهم

ويمكن أن يكون الفصل لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً، بما لا يُسوّغ وصلهما لفظيًّا، فيما يعرف بكمال الانقطاع. غير أنّ السَّبب الأوَّل أكثرُ اتِّساقًا مع الموقف الذي تعيشه أمُّ موسى، وأكثر تجاوبًا مع ما يعتلج في نفسها من خوف على رضيعها، وحزن لفراقه.

دلالات التأكيد في جملة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ﴾:

جاءت جملة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ اسميَّةً مُصَدَّرةً بحرف التَّحقيق؛ للاعتناء بتحقيق مضمونِها، مراعاةً لحال أمِّ موسى، التي أُمِرَت بأن تَفِرَّ بابنها من واقعٍ مُخيف إلى مصير مُخيفٍ مُحزنٍ من وِجهة نظرها، ومن ثَمّ فهي تحتاج إلى ما يطمئنها بحفظ رضيعها من المخاطر والمهالك، لا سيَّما أنَّه سيفارقها، ولا تدري هل ستلقاه مرَّةً ثانيةً أم لا؟، ولذا جاء التعبير مؤكِّدًا ردَّه إليها، ومبشِّرًا بكونه من المرسلين، زيادةً في التَّطمين، وإدخالًا للسُّرور على قلبها المحزون.

تأكيد المضامين يتمّ رعايةً لأحوال المخاطبين

دلالة التعبير عن المسند إليه بالضمائر:

في هذه الجملة عبَّر النظمُ الكريم عن المبتدأ بضمير العظمة في: ﴿إِنَّا﴾، وجاء بالاسم المشتق: ﴿رَآدُّوهُ﴾ مسندًا إلى ضميره (واو الجماعة) بصيغة الجمع أيضًا؛ لتعظيم الفاعل ﷻ وتفخيمه، ولتأكيد حصول الفعل المسند إلى ضميريه، والقطع بعدم قدرة أيِّ أحدٍ كائنا مَنْ كان على منع ما قدَّر اللّهُ وأراد، ممّا له عظيم الأثر في تطمين أمِّ موسى إلى وعد ربِّها.

لا يمنع ما أراد الله أيُّ أحد كائنًا من كان

دلالة التعبير عن المسند بالاسم المشتق:

جاء بالمسند: ﴿رَآدُّوهُ﴾ اسمًا مشتقًّا، لما يفيده - بمعناه الدّال على

الدّوام - من حصول فعل الرّد حصولًا يقينيًّا يحول دون التشكيك فيه، ولما يفيده - ببنائه المشتمل على حرف مدٍّ يليه حرفٌ مضعّفٌ - من الدلالة على ما يلي:

ما تكفل الله به لا ينبغي التّشكيك فيه

أوّلًا: حسم هذا الأمر حسمًا يؤكِّد وقوعه، وينصح بعدم الانشغال به.

ثانيا: أنّ قدرة الله تعالى على ردِّ الرضيع إلى أمِّه لا حدود لها، ولا يبلغ أحد منتهاها، ولا مقارنة لقدرة أحد مهما كان بها.

دلالة تقييد فعل الرد بـ ﴿إِلَيْكِ﴾:

وحي الله يعبّر بما يؤانس المكلّفين ويزيل خوفهم

في التّعبير عن أمِّه بضمير الخطاب المجرور بحرف الانتهاء: ﴿إِلَيْكِ﴾ تأكيد لأنّ ردّ الطفل سيكون إليها على وجه الاختصاص، وليس إلى أحد غيرها، لتكون هي نفسُها القائمةَ بإرضاعه، الرّاعية له، المدبِّرة لأمره، بجانب ما في خطابها من تشريف ومؤانسة.

معنى الواو في جملة: ﴿وَجَاعِلُوهُ﴾:

عطف البشارة على الوعد يزيل كل ألم ويذهب أي حزن

الواو في: ﴿وَجَاعِلُوهُ﴾ لعطف ما بعدها على ﴿رَآدُّوهُ﴾؛ وهي تجمع بين البشارة والتّطمين، ليزولَ الخوفُ والحزنُ اللّذان اعتريا أمَّ موسى معًا، إذ لو اقتصر التّعبيرُ على الوعد بردِّ الرّضيع لبقيَ في النّفس شيءٌ من حُزن الفراق، ولكان التّطمين مشوبًا بألم، فجاءت البشرى معطوفة بالواو لإزالة ذلك بالكلّية.

دلالة التعبير بالاسم المشتق معطوفًا:

حصول المعطوف عليه يؤكد حصول المعطوف

عبر النظم بالاسم المشتق: ﴿وَجَاعِلُوهُ﴾ معطوفًا على خبر إنّ: ﴿رَآدُّوهُ﴾ بالواو، ومسندًا إلى ضمير المتكلِّم بصيغة الجمع، للدَّلالة على ما يلي:

أوّلًا: تأكيد كون الرَّضيع من المرسلين، كما أَكَّد ردَّه إليها، لأن قَرْنَهما معًا بالواو يفيد أنَّ حصول الأوَّل يؤكِّد حصول الآخر.

ثانيًا: تأكيد أنّ الله تعالى سيتولَّى بنفسه ردَّ الرّضيع إلى أمِّه، وسيتولَّى بنفسه - أيضًا - تهيئته للرسالة، وتأييده للقيام لها، وحفظه عند القيام بها، زيادةً في تطمين أمِّه، وتقرير قدرته سبحانه على تحقيق ما أراد.

دلالة تقييد فعل الجعل بالجارّ والمجرور:

التّعبير بالجارِّ والمجرور: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ دون الاسم النَّكرة؛ يعني: أنَّ هذا الرَّضيع سيكون واحدًا من رسل الله المعهودين في بني إسرائيل، كيوسف وزكريا ويحيى وغيرهم، إذا كانت اللام للعهد؛ أمّا إذا كانت للجنس، فالتّعبير يدلُّ على أنَّ الرضيع سيكون أحد المرسلين، الذين هم خلاصة المخلوقين، أرسلهم الله إلى النّاس ليبلِّغوهم رسالته إليهم، وليردّوهم إلى طريقه المستقيم، من أمثال نوح وإدريس وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله المكرمين.

عناية الله تعالى تحوط خلقه بعامّة ورسله بخاصة

وأيًّا كان نوع اللام ففي البشارة نوع من التعهّد بحفظه ورعايته، لأنّه إذا كانت عناية الله تعالى تحوط خلقه بصفة عامة، فإنها تحوط أنبياءه ورسله إلى الناس بخاصة.

نكتة التعبير بوصف الرِّسالة دون النُّبوَّة:

أوثر التَّعبير بوصف الرِّسالة دون وصف النُّبوة؛ للدَّلالة على أنَّ الرضيع سيكون صاحب شريعة مستقلَّة، ولن يكون تابعًا في هديه وأحكامه لأحد ممن بُعثوا قبله، ما يعني أنه سيكون رسولًا صاحب منزلة وشأن بين أنبياء الله ورسله، قال تعالى: ﴿*تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253].

الرسول من كان ذا شريعة مستقلّة، والنّبي من بُعث على منهج سابقيه

دلالة حذف متعلق اسم المفعول: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

لم يُذكَر في وحي الله تعالى إلى أمِّ موسى قيدُ اسمِ المفعول: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أو متعلَّقه؛ لأنّ القصد هو البُشرى باصطفائه للرسالة، بغض النظر عمّن سيرسل إليهم، كما أنَّ المخاطبة لا يشغلها معرفة

البُشرى بالاصطفاء للرسالة بغضّ النظر عن المرسل إليهم

المرسل إليهم، بقدر ما يشغلها نجاة رضيعها وحياته، ومن ثَمَّ كان التبشير بحصول الأولى وامتداد الثانية.

براعة جمع الآية بين خبرين، وأمرين، ونهيين، وبشارتين:

ليس ثـمّ كـلامٌ يجمع كثيرًا من الفنون مع الدِّقَّة وحسن الترتيب سوى كلام الله

جمعت الآية الكريمة بين خبرين، وأمرين، ونهيين، وبشارتين على النّحو التالي:

الخـبران هما: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾ و﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ﴾، لأنّه يشعر بحصول الخوف.

والأمران هما: ﴿أَرۡضِعِيهِ﴾ و﴿فَأَلۡقِيهِ﴾.

والنّهيان هما: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ و﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓ﴾.

أمّا البشارتان فهما: ﴿رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ و﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

وليس ثمَّ أحد يمكنه أن يجمع في كلام بين هذه الأساليب والفنون، مصحوبةً بالدقَّة والإحكام وحسن الترتيب الذي جاءت عليه الآية الكريمة.

وقد مدح الأصمعي امرأةً لإنشادها شعرًا حسنًا، فقرأت الآية الكريمة، ثم قالت له: أبعد هذه الآية بلاغة، لقد اشتملت على أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

لطيفة ترتيب الآية على الوجه الذي جاءت عليه:

مـجـيء الـكـلام على ما هو أنفع لقلب المخاطب

بدأت الآية بالإخبار؛ لأنَّه الأنسب لسياق السَّرد والقصّ، وثنّت بالأمرين، لأنَّهما الحاصلان أوّلًا، وأردفتهما بالنّهيين، ليكون امتثال الأمرين مصحوبًا بهما، ثم ختمت بالبشارتين، لإدخال السعادة على قلب أمٍّ امتثلت أمر الله تعالى، وفيها من الضَّعف والإشفاق ما فيها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اليم والبحر:

يقول ابن منظور: "ويَقَع اسمُ اليَمّ على ما كان ماؤه مِلْحًا زُعاقًا،

وعلى النهر الكبير العَذْب الماء، وأُمِرَتْ أُمُّ موسى حينَ ولَدَتْه وخافتْ عليه فِرْعَوْنَ أَن تجعلَه في تابوت، ثم تَقْذِفَه في اليَمِّ، وهو نَهَرُ النيل بمصر، حماها الله تعالى، وماؤه عَذْبٌ. قال الله ﷻ: "فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ" فَجَعل له ساحِلًا"[1].

اليـمّ يطلق في الأغلب على ما كان ماؤه عذبًا، والبحر على ما كان ماؤه مالحًا

وأصل البَحْر: كلّ مكان واسع جامع للماء الكثير، وقال بعضهم: البَحْرُ يقال في الأصل للماء الملح دون العذب، وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53] إنما سمي العذب بحرًا لكونه مع الملح[2].

الإلقاء والرمْي:

من الناحية اللفظيَّة: الأوَّل، مشتقٌّ من الثُّلاثيِّ معتلِّ الآخر (لقى)، والثاني، مشتقٌّ من الثُّلاثي معتلِّ الآخر أيضًا (رمى). ومن الناحية المعنويّة: الإلقاء هو طرح الشيء مصحوبًا باهتمام، وبحيث تلقاه أو تراه ويمكنك متابعته، أما الرمي فهو طرح لا يشترط فيه الاهتمام، ولا الحرص على الرؤية والمتابعة، مع جواز حصولهما.

الإلـقـاء طـرح الـشيء مـع مـتـابـعـتـه، والرمي نبذٌ من دون رؤيـة أو متابعة

الخوف والحُزن:

من الناحية اللفظية: الأول، مشتقٌّ من الثلاثي معتلِّ الوسط (خاف)، والثاني، مشتق من الثّلاثي الصَّحيح (حزن). ومن النّاحية المعنويَّة، يطلق الخوف على الحالة التي تعتري الإنسان من شيء يتوقعه على سبيل الحقيقة أو الظَّن، أمّا الحزن فإنَّه يطلق على الحالة النفسيَّة التي تعتري الإنسان بسبب شيء حصل فعلًا.

الـخـوف ما يعتري الإنسان بـسـبـب أمـر متوقع، والحزن ما يعتريه بسبب أمر وقع

(1) ابن منظور، لسان العرب: (يمم).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (بحر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»